

## إشباع حاجات الطفل بين السلبية والإيجابية

أ. عفت عزالدين محمد

باحثة بمركز توثيق وبحوث أدب الأطفال



### مقدمة :

الأطفال هم بعض الحاضر وشباب الغد ورجال المستقبل، وصانعو حضارات الأمم، ودرعها الواقى، لذا يجب أن تكون تربية الطفل تربية عقلية ونفسية صحيحة لا انحراف فيها ولا تعقيد حتى يصبح عضواً فعالاً فى مجتمعه.

وعندما ينشأ الطفل نشأة قائمة على الاستقرار الأسرى يصير أمناً مطمئناً بعيداً عن جو المشاحنات والاضطرابات النفسية التى تهدد مستقبله فيما بعد.

تبقى الطفولة هى حجر الأساس فى بناء كل المجتمعات، والطفل هو الثروة الحقيقية لأية أمة، كما أن مرحلة الطفولة من أهم وأخطر مراحل التكوين ونمو الشخصية، وبخاصة فى السنوات الأولى .

إن المنهج الذى يعتمد العلاج فقط فى التعامل مع الطفل منهجاً أحادى الطرف، منهج ناقص وغير موصل إلى بر الامان، ولتجنب ذلك، ومن أجل إيجاد شخصية سليمة متزنة عقلياً وبدنياً وعاطفياً، كان لابد من العناية بالبناء والوقاية فى المرحلة الأولى من نشأة الشخصية. أى بدايةً من مرحلة الطفولة.

### لكن الإشكالية التى تفرض نفسها هى كيف يمكن إشباع احتياجات الطفل؟

وللوقوف على حاجات الطفل وعلى كيفية تحقيقها وإشباعها شئ ضرورى وهام، لكى ينمو ويتفتح بشكل متزن فى جوانب شخصيته المختلفة : الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية والروحية.

ويتولد عن الحاجات دوافع تكون هى المسئولة عن اختلاف سلوك الأطفال بعضهم عن بعض،

لذا فإن فهم طبيعة هذه الدوافع وعلاقتها بنمط شخصية الطفل يساعد الأباء غلى وضع إستراتيجيات للتعامل مع أبنائهم.

### مفهوم الطفولة :

الطفل فى تعريف اليونيسيف هو الكائن الإنسانى منذ ولادته وحتى يتم عامه الثامن عشر. إذن مرحلة الطفولة هى تلك المرحلة التى تبدأ من الميلاد وحتى بلوغ الطفل سن الثامنة عشرة. ويؤكد علماء النفس على أن الأسرة تكاد تكون الأداة الوحيدة التى تعمل على تشكيل الطفل إبان حياته الأولى، فقد أثبتت الدراسات أن الطفل يكون بحاجة إلى أن ينمو فى كنف أسرة مستقرة، كما أثبتت حاجته إلى إخوة ينمون معه ويشاركونه حياته الأسرية لكى يستمد شعوره بالأمن... وعن طريق الأب يمكن للطفل أن يشبع حاجاته ورغباته، وأن ينال منه أيضاً العطف والتقدير والمحبة. وتشير الدراسات فى مجال التربية وعلم النفس إلى ما يلى :

إن أهم عنصرين يجب أن تسودهما العلاقات المتزنة فى الأسرة هما الزوج والزوجة، ففى الأسرة المتزنة يكون كل من الوالدين مدرّكاً وواعياً باحتياجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه، ومن أهم الحاجات هى حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، والحاجة إلى التقدير والحب والثقة بالنفس، والحاجة إلى الانتماء، وإلى بناء علاقات اجتماعية، والحاجة إلى العطف والتعليم والتوجيه، فيجب أن يكون الأب مدرّكاً لما قد يكون وراء سلوك طفله من رغبات ودوافع يعجز الطفل عن التعبير عنها بوضوح.

ولا يجب أن يكون الطفل مسرّحاً يمارس عليه أحد الوالدين رغباته غير المشروعة كأن يستخدم فى إيذاء وضرر الطرف الآخر، أو الكيد له، أو يجعل الطفل محور صراع بينه وبين غيره من الكبار.

(New.educ.com@gmail.com)

ومن هنا يقول الأستاذ محمد قطب إن البيت والشارع والمجتمع هى ذات الأثر الحقيقى والحاسم لتنشئة الأطفال، مع عدم إغفال العامل الوراثى على الإطلاق، بل مع توكيد أهميته فى الحياة البشرية، وذلك على الصورة المبينة وهى : أن العامل الوراثى أصيل فى النفس، ومطوب لذاته، ولكن التربية والتوجيه عليهما أن يستخلصا خير ما فيه، ويقوما ما قد يكون فيه من انحراف أو غلو، وحين لا تكون هناك تربية، أو حين تكون التربية والتوجيه فاسدين، فإن انحرافات العامل الوراثى تتأكد بدلاً من أن تسوى فيخيل للناس حينئذ أن الوراثة هى الغالبة وهى الحاسمة فى تكوين الشخصية وليس الأمر فى حقيقته كذلك. ويقول فى موضع آخر مؤكداً، البيت والشارع والمجتمع.

إذن هى ركائز التربية الأساسية، وهى التى تعطى الحصيلة النهائية للعملية التربوية، مع عدم إغفال الطابع الذاتى والوارثات الخاصة، بل مع توكيد وجودهما وإبراز دورهما فى الحياة البشرية.

ومن أجل تربية طفل واحد - تربية جميع الأطفال على السواء - نحتاج أن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع فى الصورة التى ترغب فى تنشئة هذا الطفل عليها، لأن تأثيرها على طفل واحد كتأثيرها على كل الأطفال مجتمعين. (متولى موسى، ١٩٩٣، ٢٥)

## مفهوم الحاجات :

الحاجة هي افتقار إلى شئ ما وإذا وجد حقق الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي، والحاجة شئ ضرورى إما لاستقرار الحياة نفسها (حاجات فسيولوجية) أو للحياة بإسلوب أفضل (حاجات نفسية).

فالحاجة إلى الأكسجين ضرورية للحياة نفسها وبدون الأكسجين يموت الفرد فى الحال، أما الحاجة إلى الحب والعطف، فهي ضرورية للحياة.

**وقد صنفت الحاجات عند علماء النفس ضمن مجموعتين أساسيتين وهما :**

## حاجات فسيولوجية :

يولد الوليد وهو مزود بمجموعة كبيرة من الحاجات ذات أهمية فى نموه، وهى حاجات فطرية مثل الحاجة للطعام، والماء، والنوم، والراحة، والأكسجين، وتنظيم درجة حرارة الجسم والإخراج، ويتوقف بقاء الوليد على إشباع هذه الحاجات، ويكون إشباعها فى هذه المرحلة ذاتى التنظيم، بدون ضبط إرادى، أو مشاركة نشطة من الطفل أو الآخرين.

وهناك حاجات بيولوجية لا تشبع ذاتياً مثل الجوع والعطش وإنما تُشبع بمساعدة الآخرين، وإذا لم يحدث هذا مباشرة تزداد توترات الرضيع وآلامه، والعلاقات الاجتماعية فى إشباع هذه الحاجات من أكثر خبرات الطفل المبكرة أهمية وتكون لها آثار ثابتة فى نمو الشخصية.

## حاجات نفسية :

تنمو مع الفرد مجموعة كبيرة من الدوافع المكتسبة تُشتق من الدوافع الأولية تسمى الدوافع الثانوية، وتُكتسب هذه الدوافع من خبراتنا فى البيئة وتفاعلنا مع الآخرين، فكما يسعى الإنسان لحفظ التوازن النفسى عن طريق التوازن الانفعالى، وذلك بإشباع الحاجات الشخصية والاجتماعية التى تستجد على الحاجات البيولوجية نتيجة خبرات التعلم المبكرة، وتصيح هذه الدوافع المكتسبة عاملاً مؤثراً هاماً فى سلوك الفرد وفى بناء شخصيته، وتحل محل الدوافع الأولية، وتقوم بوظيفتها وتسمى دوافع سيكولوجية اجتماعية، ولا يمكن للفرد أن يحتفظ بتكامل شخصيته إذا لم ينجح فى إشباع تلك الحاجات النفسية والاجتماعية ومن أمثلتها الحاجة للأمن، وجوهر هذا النوع من الحاجة هو الاهتمام المتواصل بحفظ الظروف التى تؤكد إرضاء الحاجات أو إشباعها، سواء كانت هذه الحاجات بيولوجية أو سيكولوجية، مستويات الحاجات جعل فى القاعدة الحاجات البيولوجية (الطعام والشراب والجنس) وفى القمة الحاجة لتحقيق الذات.

## ماهى الدوافع :

يقول الغزالى : الدوافع هى كل ما يدفع إلى النشاط النفسى أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً وإذا كان الغالب على الدافع أن لا يشعر به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإن قُوى واستقر كان عاطفة، فإن الغزالى يستعمل الدوافع بالمعنى الشعورى غالباً، وتبدو العواطف من دوافع السلوك الهامة عنده.

## أهمية الدوافع :

إن طبيعة الإنسان لا تخلو من مجموعة من الدوافع يقول الغزالى : (اضطرت إلى أن يكون

لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة).

إن الفكر لا يعمل دون باعث من دوافع (فلو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث على مقتضى العقل لكان حكم العقل ضائعاً)، إن الإرادة لا تتحزم دون دافع (وكلما كان هذا الدافع قوياً أوجب الإرادة وإنهاض القدرة“.

(www.almurabbi.com)

### **طريقة الإقناع مع الأطفال خطأ أيضاً :**

ولابد أن نعلم أن ما يزعجه بعض الآباء، والأمهات المتحذلقين من أنهم يتعاملون بطريقة الإقناع، والانخراط معهم في مناقشات بإزاء ما ينتحون إليه من ألوان سلوكية لا يوافقونهم عليها، إنما هو زعم أجوف، فالواقع أن الطفولة بطبيعتها، لا ترتقى إلى مستوى المناقشات التي إما أن تُقضى إلى رفض الحُجج التي يدلي بها الكبار، فهذه المرحلة الطفلية هي مرحلة التكوين الأخلاقي الامتصاصي، وهي أيضاً المرحلة التي يجب أن يكون الطفل خلالها متقبلاً لما يُقدم إليه من توجيهات سلوكية، بل إنها المرحلة التي يجب أن يُدرب فيها الطفل على امتصاص الأخلاق الكريمة من الكبار، بفرض أن الكبار على خلق جيد، وهو المفروض والمأمول بالطبع.

(يوسف ميخائيل أسعد، ١٩٩٧، ١٧ - ٢٣)

### **الحب الأموى سلاح ذو حدين :**

الحب الأموى يمكن أن يستخدم كفائدة للأبناء والبنات، كما يستخدم لتوقيع الضرر عليهم، والخروج بهم عن الطريق الصحيح، لذلك ينبغي تحديد المفاهيم الدقيقة للأمهات، وأن يبدأ تدريبهم مع بداية كل مرحلة عمرية يصل إليها أبناؤهم، حتى تكون العاطفة التي تقدمها الأم إلى أبنائها عاطفة سليمة غير معوجة ولا غير مناسبة للعمر.

### **وهناك أخطاء تربوية للأمهات فى استخدام الحب نحو الأبناء منها :**

#### **المبالغة فى إبداء الحب للأبناء :**

إن المبالغة فى التعبير عن الحب تجعل الحب مرضاً، وبحاجة الى تقويم وقد فسر التحليل النفسى المبالغة والتعبير عنها باتهام الأم بعدم حب أبنائها - لا شعورياً - وأن ما تشعر به من حب لا يعدو تغطية لا شعورية لا تدركها لكرهيتها لهؤلاء الأبناء لأسباب تخشى إعلانها على الملأ (مثل كراهيتها للأب).

#### **التقلب بين الحب والكراهية :**

إن تقلب الأم فى إظهار عواطفها نحو أبنائها بين الحب والكراهية، يؤثر تأثيراً خطيراً على شخصية الأبناء فيترك آثاراً متصارعة فى نفسية الأبناء والبنات... فيصير الابن مشدوداً مرة إلى ناحية الحب، ومشدوداً مرة أخرى إلى جانب الكراهية، وخطورة هذا الموقف المتذبذب يتبلور على جميع علاقاته الاجتماعية بالآخرين، فهو ينجذب إليهم بقلبه فى لحظة ويبتعد عنهم وجدانياً، بل ويكرههم فى لحظة تالية، وإذا ما اشتدت تلك الحال بالابن فإنه يكون معرضاً إذاً للإصابة ببعض الأمراض النفسية أو العقلية، التى تلازمه فى علاقاته الاجتماعية فى حاضره ومستقبله.

#### **امتناع الأم عن التعبير بالحب لأبنائها :**

هذا الأسلوب السلوكى الذى تتبعه قليل من الأمهات يكون مشفوعاً بلا مبالاة غالباً، فهى لا

تكاد تحس بوجودهم حولها، والأم من هذا النوع تكون مصابة ببلادة الشعور، وهى إحدى حالات المرض النفسى المعروفة.

### **استخدام الحب الأموى وسيلة للضغط على أبنائها بالمطالب الكثيرة :**

مما يجعلهم لا يستطيعون النهوض بها على الإطلاق أو يستطيعون النهوض بها على أكمل وجه، فيصابون بالإرهاق من أعباء لا مثيل لهم بها، الأمر الذى يودى فى النهاية إلى حقدهم عليها بدلاً من مبادلتها نفس العاطفة.

(كلير فهيم، ٢٠٠٦، ١٤ - ١٤٦)

ومن الجدير بالذكر أن شخصية الطفل وتكوينها السليم يعتمد على إشباع حاجاته المادية والعقلية والاجتماعية والنفسية، وكل جهد لا يتناول هذه الأبعاد لا يمكن أن يحقق النمو السوى للطفل، ومن المفروض أن تقوم الأسرة بمهمة إشباع حاجات الطفل الأساسية، وغرس القيم والاتجاهات والأخلاق وتنظيم سلوكه، وتضع الضوابط الاجتماعية التى تنظم علاقة الطفل بالمجتمع الذى يعيش فيه، وإذا تعذر على الأسرة القيام بهذا الدور لأى سبب من الأسباب فإن مؤسسات المجتمع الأخرى تقوم بمساعدة الأسرة فى القيام بهذا الدور، ويأتى على رأس هذه المؤسسات دور الحضانة، فهى الجهة المؤهلة تأهيلاً علمياً وتربوياً للقيام بهذا.

### **نماذج من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى إشباع الحاجات :**

إن الحاجة للسرور والفرح من الحاجات الضرورية للأطفال فى البناء العاطفى، لأنها تؤثر فى أنفسهم تأثيراً قوياً، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تحريك هذا المؤثر فى نفوس الأطفال لأنه يورث فى النفس الانطلاق والحيوية، كما أنه يجعل النفس مرنة لتقبل أى أمر أو ملاحظة أو إرشاد.

وقد استخدم الرسول، صلى الله عليه وسلم، مع الأطفال أساليب شتى منها، التقبيل، إلقاء التحية، حمل الأطفال ووضعهم فى حجره، المسح على الرأس، تقديم الطعام والأكل معهم، نداءهم بأحب الأسماء إليهم.

وعند تربيتنا لأطفالنا يجب أن نراعى أن يكون هناك توازن فى إشباع الحاجات لا تفريط ولا إفراط لأنه توجد فى أغلب المجتمعات بعض التقاليد والعادات التى نتج عنها ذلك منها مثلاً : تقضيل الذكور أو تدليل الابن البكرى أو البنت الوحيدة بين أولاد أو تأخر إنجاب الأم فينتج طفل مدلل أو العكس زوجة أب أو زوج أم أو أب متغيب عن المنزل أو امرأة تترك تربية أبنائها للغير بسبب انشغالها... فينتج عن ذلك طفل غير سوى، وغيرها من العادات الموروثة التى تساهم فى كيفية إشباع الرغبات، فأحياناً ندلل وأحياناً أخرى نفرط فى التعبير عن الحب.

### **الآثار الحسنة لإشباع الحاجات :**

هذه الحاجات عوامل هامة فى ضبط السلوك، حيث أنها تنشأ تحت ضغوط اجتماعية للثقافة التى يعيش فيها الفرد، والتطور الاجتماعى للدوافع الأكثر كموثناً والتى تعمل على ضبط أفعال الإنسان هو ما يستحث الثناء، والمديح، وما يحرص على الهرب من النقد والتوبيخ، ويعتمد كلاً من الضبط والنمو الاخلاقى على هذه الدوافع الاجتماعية.

### **الآثار السلبية لعدم إشباع الحاجات :**

إذا لم تشبع حاجات الطفل النفسية يسبب ذلك إحباطاً أساسياً لأهم حاجة من حاجات النمو

الوجدانى والاجتماعى وهى الحاجة للأمن. وأخيراً.. فلكى تكون التربية متكاملة وينشأ الطفل سليماً نفسياً ويتحقق له إشباع حاجاته بشكل طبيعى يجب أن ننظر للتربية من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية هى : البعد الفردى حيث يكون الفرد هو محور الأهداف والمحتوى والأنشطة فتعتمد إلى تنمية شخصيته وتحقيق الاستقرار النفسى والاجتماعى له، وتسعى إلى إشباع حاجاته ومطالبه ومواجهة مشكلاته وإتاحة الفرص له للنمو المتكامل حسب ما تسمح به قدراته وميوله ورغباته وإمكاناته المتاحة لا فرق فى ذلك بين ذكر وأنثى، كبير وصغير، سوى أو معاق، والبعد الثانى هو البعد الاجتماعى أى إدخال المفاهيم والقيم والاتجاهات والعادات والتقاليد والأعراف المتفق عليها فى مجتمع ما فى النظام التربوى القائم بحيث تؤصل فى الناشئة العوامل التى تؤكد عى روح المجتمع. وخصائصه وتراثه وأهدافه الحاضرة والمستقبلية من أجل المحافظة على كيانه وتراثه وتجديده.

والبعد الثالث هو البعد الإنسانى حيث يهتم النظام التربوى القائم فى المجتمع بإبراز الخصائص المشتركة بين الأفراد والمجتمعات والثقافة بغض النظر عن الاختلاف فى العرف والزمان والمكان وتطوير السمات التى تؤكد على إنسانية الإنسان وتمييزه عن غيره من الكائنات وهى العقل والنفس والروح والوجدان والأخلاق كما تؤكد على وحدة المجتمعات البشرية فى الخلق والحياة والمطالب والحاجات والفعل والتراث والمعرفة والنماء والمصير وتعزيز النزعة الانسانية بالنقاء العناصر الثقافية والخبرات البشرية الهادفة والمعرفة العلمية المتطورة والقيم الكلية والمبادئ المشتركة التى تؤكد على إنسانية الإنسان فى العمل التربوى.

(لطفى بركات أحمد، ٢٠٠٥، ١٨٦)

### المراجع :

- ١- سهير كامل أحمد، شحاتة سليمان محمد؛ تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.
- ٢- كلير فهيم، الأمومة وإشباع الحاجات النفسية للأبناء، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.
- ٣- لطفى بركات أحمد، الموسوعة التربوية، ٢٠٠٥.
- ٤- متولى موسى، تربية الأطفال فى فترة الحضانة، الصومال، المستقبل للإعلام والنشر، ١٩٩٣.
- ٥- يوسف ميخائيل، كيف تربي أولادك، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.